نظرية المعرفة عند بديع الزمان سعيد النورسي

اديب ابراهيم الدباغ *

١

يقف المسلم اليوم على مشارف القرن الحادي والعشرين، ونفير العصر مازال يصك سمعه بالمزيد والجديد من الافكار والثقافات والعلوم.. ولانّ حاسّة النقد والتقويم عنده تكاد تفقد - بالاهمال والتعطيل - القدرة على التمحيص والاصطفاء، فهو قلّما يحسن التمييز والتفريق - في هذا الطوفان الفكري الهائل - بين ما هو ايماني المنبت من غيره من المنابت والجذور.. ولكونه يفتقر الى نظرية محكمة في المعرفة يواجه على ضوئها هذه المعطيات، وتتيح له امكانية التعامل مع طروحات العصر من منطلقات فكرية ووجدانية راسخة وغير هشة ولا مهزوزة.

فاشكالية المسلم المعاصر التي يحاول المعنيون بشؤونه الفكرية حلّها والتغلب عليها، يمكن طرحها من خلال السؤال الآتي:

كيف يمكن للمسلم ان ‘‘يعرف بايمان’’.. ؟ وان ‘‘يؤمن بمعرفة’’ ؟ وبسؤال اكثر وضوحاً:

كيف يستطيع ان يجعل من ‘‘الايمان’’ طريقاً الى ‘‘المعرفة’’ ؟ ومن ‘‘ المعرفة’’ طريقًا الى ‘‘الايمان’’ ؟

وفي محاولة جادة للجواب على هذا السؤال،كتب ائمة المسلمين ومفكروهم- ومنذ البدايات الاولى لهذا القرن - مئات الكتب والابحاث والمقالات كلٌّ في ميدان اختصاصه عن ‘‘ التطابقية’’ بين حقائق الاسلام، وحقائق الكون والحياة التي كشف عنها العصر الحديث ، وعن صلة القربى الباطنية العميقة بين صدق الفكر الديني، وصدق الفكر البشري الذي لم تتلوث فطرته بالاباطيل والاوهام.

غير ان هذا الجهد المشكور الذي لا يشك احد في اثرائه للفكر الاسلامي ، ظل شتاتاً متفرقا ومبعثراً، لا يجمع بيه جامع، ولا يربط بين اجزائه رابط، ولم يُختزَلْ في ‘‘مقولة معرفية’’ يمكن ان يجد فيها المسلم مفتاح ‘‘معرفة ايمانية’’ تجعله قادراً على مواجهة ما يطرحه عصره من معارف بكفاءة عقلية وايمانية عاليتي المستوى.

فالاتجاه الثقافي لهذا العصر يوجب على اصحاب الفكر تنظيم مفرداتهم الفكرية وحصرها في نظرية ذات وحدة واحدة، ويتطلب ايجاد رابط ذهني يشد هذه الجزئيات ويسلكها في سلك معرفي واحد ، يمكن من خلاله التعرف على جوهر الفكر المعروض وحقيقته واصوله.

ومن هنا تميز هذا العصر بكونه عصر ‘‘ النظريات والمعادلات والقوانين والرموز والارقام’’ المُخْتزِلَةِ لكليات مذاهب الانسان ومعارفه وثقافاته وعلومه.

بينما مايزال اولو الرأي والفكر فينا تستنزفهم المفردات والجزئيات من الافكار، ويستغرقهم الجدل العقيم في الهوامش والفرعيات، ولم تجر سوى محاولات نادرة لتصنيف هذا الشتات الفكري في خط معرفي متكامل واضح المعالم يغنينا بكليته عن الرجوع الى مفرداته وجزئياته.

٢

وواحدة من انجح تلكم المحاولات النادرة ما فعله ‘‘ النورسي’’ رحمه الله في رسائله. فرسائله كلها الثلاثون والمئة،

انما هي قاعدة عريضة ومتينة لمعرفة ايمانية يمكنها اذا نحن استوعبناها ان تشعرنا بالامتلاء الفكري والوجداني، وبالقدرة على مواجهة اية اشكاليات فكرية ووجدانية تفجؤنا بها الايام.

وهذه المعرفة الايمانية التي رسم '' النورسي'' ملامحها، وخطّ حدودها منبثقة من فهمه لقوله تعالى: سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق''فصلت: ٥٢'' فهو يرى في ضوء هذه الآية العظيمة ان ما من معرفة مما تتبادلها العقول فيما بينها الا وترجع في اصولها الاولى الى واحدة من المعارف الثلاث الآتية:

١- معرفة كونية تشمل علوم ما في السماوات والارض وما بينهما وما تحت الثرى.

٢- معرفة انسانية تشمل الكينونة الانسانية وكل ما يتعلق بالانسان فرداً ونوعاً ظاهراً وباطنًا.

٣- معرفة الهية ترتبط بوجود الله تعالى و بربوبيته وشؤونه في خلقه.

وهذه المعارف الثلاث متلازمة يلازم بعضها بعضاً ، ويسند بعضها بعضاً، ويدل بعضها على بعض وهي في تعاشق دائم لا ينقطع فليس ثمة معرفة متفردة ومستقلة ومنعزلة في هذا العالم.

فكوني مؤمنًا يلزمني ان اعرف لان المعرفة تقويني وتعلمني لماذا يجب ان اكون مؤمناً.

وكوني اعرف بصدق وعمق، فان معرفتي تغدو درجات في سلم ارتقائي الى معرفة اسمى هي معرفة الله تعالى.

وكوني انسانيًا مهتمًا بشؤون الانسان وبكينونته ووجوده ومصيره، ومتعرفًا على سرّ ما ينطوي عليه باطنه من عوالم واكوان رغم صغر حجمه ستفضي بي هذه المعرفة حتمًا الى معرفة خالق هذا الانسان وموجده.

٣

فهذه المعارف الثلاث تتعاشق فيما بينها كما تتعاشق زوايا مثلث متساوي الاضلاع. تقوم قاعدته في احد طرفيها على '' المعرفة الكونية'' ، وعلى '' المعرفة الانسانية'' في طرفها الآخر، بينما تعلو قمته '' المعرفة الالهية''.

وعندما نقرأ المثلث من اي رأس فيه. فيمكن ان نرقى بقراءتنا من القاعدة الى القمة، او ننزل من القمة الى القاعدة، اي : اما ان تكون معرفة الكون والانسان طريقنا الى الايمان ، او يكون الايمان طريقنا الى معرفة الكون والانسان. فمن اية واحدة منها يبدأ عقلنا رحلته المعرفية فانه سينتهي لا محال الى المعرفتين الاخريين، فكأن الثلاثة تشكل معرفة واحدة كما تشكل اضلاع المثلث جسما هندسيًا واحداً.

فحذار من النظرة التجزيئية والتفكيكية التي كثيراً ما نجد انفسا متورطين فيها عند معالجتنا لقضايا الدين والثقافة والعلم، فمثل هذه النظرة الساذجة تحبط اية محاولة لبناء هيكل معرفي متكامل.

بينما النظرة التركيبية الجامعة هي ما نحتاجه في صنع هذه المعرفة، كما ان التفكيك مناقض للتركيب الذي بُني عليه الكون، وهو هدم لا بناء بينما التركيب بناء لاهدم، وبحكم عمق صلاتنا بالكون، واعتبارنا جزءًا لا يتجزأ منه، لذا لا ينبغي لنا ان نناكف شريعته التركيبية ، او نندَّ عن سننه في التوجه من الكثرة الى الوحدة، ومن الجزء الى الكل، بل نروض تفكيرنا على هذه السنن في الفهم والادراك، وصياغة المعارف والافكار.

٤

فعقل المفكر المسلم ينبغي ان يمتلك بصيرة قادرة على امتصاص الوحدات المعرفية المختلفة واستيعابها وتمثلها وتحويلها الى وحدة كلية واحدة يتدفق بها لسان قلمه.

ففرق كبير بين من يكتب وفي ذهنه صورة مرحلة تاريخية معينة ومحددة لها اشكالياتها الفكرية الخاصة بها، ومن يكتب وهو يستحضر في ذهنه صورة حضارة ايمانية كاملة يريد ان يبتعثها من مرقدها من جديد، وان يحفز حسَّها الحضاري البارد المشلول، ويبعث في جسمها الدفء والحركة والشعور بجوهر ذاتها، وعمق وجودها الحاوي لعناصر خلودها.

فالاول مرحلي نسبي يفتقر الى العقل الجمعي الشمولي، تستنزف فكره الجزئيات والمفردات، وتشغله هموم الجزء الجزئى عن الكل الكلي.

بينما الثاني يتحدث بلسان وحدة حضارية كلية مطلقة في عناصرها ونسيجها، فلا يقع في خطأ التجزيئية والتفكيكية اللتين هما علة كل ضحالة في العمل الفكري الايماني او قصور فيه.

'' فالنورسي'' يرسم في رسائله صورة الايمان في حضارة الاسلام كما كشفتها عيناه الجوالتان في الآفاق وفي الانفس، وقد رفض كل الفواصل والقواطع بين ما هو كوني وانساني والهي، فالثلاثة - عنده - حلقات متصلة في سلسلة حضارية واحدة لا تتجزأ، تبدأ من ضمير المسلم وتمر بمعارف عقله وروحه وتنتهي في ضمير كل لبنة وحجر في اي من الصروح المشادة في مدن العالم الاسلامي وحواضره كشواهد شاخصة على هذه الحضارة التي يغشاها اليوم ضباب شجي يتنزى دمعاً والماً.

٥

لقد ماتت اليوم القوة الابداعية لهذه الحضارة، واصاب روحها الانهاك والتعب، وتخشب جسمها، وتصلبت شرايينها ، واعتلّ عقلها وقلبها، واحتل باطنها فراغ زماني ميت مميت ، وغدت تعاني نزع الاحتضار ، وتكابد سكرات تحولها التدريجي عبْرَ الزمن من طاقة روحية حافزة تخطف ببريقها الابصار والعقول والافئدة الى كتل مادية مصمتة صماء تنطوي احجارها على بقايا روح حضاري عظيم يكاد يهتف - من قلب كل حجر - بالمسلم ان يتحرر من سجن وجوده الكتلوي الذي آل اليه ، ويتحول الى طاقة ايمانية تشع نوراً وهدى كما كان في سابق عهده.

تلك هي صورة وجودنا البائس اليوم ، ولا أمل في استنهاضنا من جديد لنستأنف دورة حضارية جديدة ما لم يقيض الله لنا المفكر الفذّ القادر بما يمتلك من نفاذ البصيرة على الايغال في عمقنا التاريخي، والامساك باللحظة التاريخية القاتلة التي قذفت بنا خارج التاريخ والزمن.

ففي هذه اللحظة النكدة يكمن سرّ سقوطنا وانهيارنا، لانها لحظة الانفصام في عقولنا بين المعرفة الالهية والمعرفة الانسانية والمعرفة بالكون والطبيعة. فتحريك النزوع الحضاري الهاجع في ''لا واعية'' الامة، يوجب على المفكرين في هذا العصر ايجاد الترابط الذهني بين المشيئة الكونية والانسانية من جهة. والمشيئة الالهية المهيمنة على كل مشيئة سواها من جهة اخرى.

٦

وعندما نقرأ ''النورسي'' فاننا سنصاب بالذهول لقدرته الغريبة على عرض تراكيبه الفكرية الجامعة بين ما هو الهي وانساني وكوني في ايجاز غير مخل، ودون ان يعرض نفسه للاستلاب الكوني او الانساني، او الغياب - لحظة واحدة - عن الالهي.

واليك هذا النموذج الذي يعطيك ملمحا عن فكر '' النورسي'' الجمعي والشمولي. فيقول مستهلاً كلامه بقوله تعالى:

سَبِّحْ اِسْمَ رَبِّكَ الأَعلى * اَلَذّى خَلَقَ فَسَوّى * وَالّذِي قَدَّرَ فَهَدى

هذه الآيات الكريمة ترشدنا الى أن جميع الأشياء ولا سيما الأحياء تظهر الى الوجود وكأنها خرجت من قالب مصمَّم تصميماً حكيماً يَهَبُ لكلّ شيءٍ مقداراً منتظماً وصورةً بديعة يشفّان عن حكمة واضحة. فنرى في الجسم خطوطاً متعرجة، وانحناءات وانعطافات تنشأ عنها فوائد شتى للجسم، ومنافع عديدة تسهل له أمر أداء وظيفته التي خلق من أجلها على أتم وجه.

فالموجود له صورة معنوية في علم الله تمثل مقدراته الحياتية، وهي تلازم الصورة المادية وتنتقل معها في مراحل نموها، ثم تتبدل تلك الصورة والمقادير في مسيرة حياته تبدلاً يلائم الحكمة في خلقه وينسجم كلياً مع المصالح المركبة عليه، مما يدل بالبداهة على ان صور تلك الاجسام ومقاديرها تُفصَّل وتُقدَّر تقديراً معيناً في دائرة القدر الإلهي، الجليل الحكيم ذي الكمال، وتُنظَّم تلك الصور وتُنسَّق بيد القدرة الإلهية وتمنحها الوجود المعيّن المقدّر.

فتلك الموجودات غير المحدودة تدل على الواجب الوجود، وتشهد بألسنةٍ لا تحد على وحدانيته وكمال قدرته.

تأمّل فيما يحويه جسمك واعضاؤك أيها الانسان من حدود متعرجة والتواءات دقيقة.. وتأمل في فوائدها ونتائج خدماتها وشاهد كمال القدرة في كمال الحكمة''١.

٧

واذا كان الانسان المسلم - لعقمه الروحي - يُقْذَفُ به خارج الزمان او خارج التاريخ الاّ انه مازال عنصراً كونياً يمكن حين تحين لحظة خصبه ان يخرق الزمان والتاريخ ويعود ليحتل مكانه المهجور فيهما، ويلغي بذلك الحد الفاصل بينه وبين ان يكون جزءاً من نبض الزمان وخفق التاريخ.

فالرعب من انعدام وزنه الزمني والتاريخي يشكل واحداً من اكثر حوافز روحه لكي ينفذ من قمقم الفراغ العدمي الحبوس فيه، ويندفع منه لكي يجد نفسه تصب من جديد في نهر التاريخ الذي تصاب الشعوب والامم والحضارات بالموت حين يصيبها العقم ويقذف بها خارجه.

فالمعرفة بالانسان كتاريخ حركي وكوجود ظاهره وباطنه في حالة استحالة وتحول دائمين يؤكد وجود رابط يربطه بدينامية الكون وحركته لانه جزء منه ، فأي توقف او جمود على حال واحدة يعني التوقف عن الصيرورة التي من خلالها يكتشف الانسان كوامن اعماقه، وخفايا ذاته، للنهوض نحو الاجمل من الحياة ، والاعمق من الفكر، والاطهر من السلوك غير انه في صيرورته هذه لا بد من ان يعرف القوة والضعف، والسعة والضيق، والامتداد والانكفاء، ليزداد بصره حدة بنقائض النفس وما تحتويه من اضداد، فيكون اقدر على سياستها والاخذ بخطامها حين تريد الجموح والتمرد.

''اعلم! ان ميدان اشتغال الانسان، ومساير جولان الهمة، اوسع من ان يُحاط به. فقد يجول في ذرة، ويسبَح في قطرة، وينحبس في نقطة، مع انه قد يضع العالَم نصب عينيه، وقد يُدخل الكائنات في عقله حتى يتطاول الى رؤية الواجب الوجود ومشاهدته. فقد يكون الانسانُ اصغر من ذرة، وقد يصير اكبرَ من السموات، فيدخُلُ في القطرة مع انه يدخل فيه الفِطرةُ بانواعها واركانها''٢..

٨

فالانسان هو الكائن الوحيد في هذا العالم الذي يمكن ان يأتي ''باللامتوقع'' والخارق من الافكار والافعال التي يعجز ''قانون السببية'' عن تفسيرها ، فالسببية يمكن ان تطال جسمه الفيزيائي وتخصصه لقوانينها وسننها غير انها عاجزة عن مطاولة كيانه الباطني، فباطن الانسان هو عالمه الحقيقي الذي يستعصي على فهم السببية، وهو قوة خفية تستمد محركات وجودها

وديمومة حياتها من منطقة خارج الكون ووراء الطبيعة، وهذه القوة هي التي تمدُّ الانبياء بالافكار التي يمكن تحويلها الى افعال ، وقد تأتي هذه الافكار والافعال وليس بينها وبين الاسباب نسب من قريب او بعيد.

صحيح ان اكتشاف قوانين السببية و الجاذبية فتح عظيم من فتوحات العلم، حيث استطاع العلماء باعتمادها في البحوث والتجارب حلَّ الكثير من الالغاز الكونية والحياتية، الا انه ينبغي ان نعترف بان '' السببية والجاذبية'' تحولتا مع الزمن الى حجر عقلي ووجداني حدّد كثيراً من انطلاقات الفكر والروح في مجالات الفكر الديني والروحي، وبكل ما يتعلق بالانسان ككيان الهي صيروري تعجز كل قوانين الطبيعة ان تطاله او تفسره.

فصرامة السببية وقوة ضغوطها على العقل تعطل - الى حد ما - قوى الانسان الشعورية والحدسية عن الاندفاع - في اقدس لحظات تنويرها وتألقها - من النهائي المحسوس الى اللانهائي المحجوب، ومن النسبي المحسوب الى المطلق الذي لا يحده حساب في شؤونه الفكرية والعقيدية، فتنغلق بذلك منافذ التلقي والاستقبال لما يلقيه الحدس والشعور في روعه من الحقائق التي كثيراً ما يعجز العقل السببي عن ادراكها بعد طول معاناة ومكابدة. وقد ادّى طغيان '' السببية'' وهيمنة مناهجها على عقول غالبية المفكرين اليوم الى نوع من التبلد الوجداني عند الانسان، وعمل على حصره في دائرة حسية ضيقة مغلقة لا يستطيع خرقها الاّ اصحاب النفوس القوية المصطفاة.

اما النفوس المترددة والوجلة فانها تأوي الى عش '' السببية'' باستكانة غريبة لانها عاجزة عن التحليق بعيداً عنها، وهذا هو سبب ما نشاهده من ندرة الفتوحات الايمانية العظيمة عند غالبية السببيين من مفكري الغرب وعلمائه، وما نلمسه من انطماس البصيرة النقية لديهم حتى لنكاد نشعر بان هذه البصيرة قد دُفعَ بها عن عمد الى ضلال غاية في البعد عن الايمان بما وراء السببية.

وها هو '' النورسي'' يحاكم '' العقل السببي'' وينقده نقداً لاذعًا فيقول:

''إن لم يُسند خلق كل شئ الى الواحد الاحد القدير ذي الجلال، وأسند الى الاسباب المادية، يلزم عندئذ ان يكون لاغلب عناصر العالم واسبابه دخلٌ وتأثير في وجود كل ذي حياة.

والحال ان اجتماع الاسباب المتضادّة والمتباينة فيما بينها، بانتظام تام، وبميزان دقيق وباتفاق كامل في جسم مخلوق صغير - كالذباب مثلاً - هو محال ظاهر الى حد يرفضه مَن له عقل بمقدار جناح ذبابة، ويُردّه قائلاً: هذا محال.. هذا باطل.. هذا غير ممكن..!

ذلك لان جسم الذباب الصغير ذو علاقة مع اغلب عناصر الكائنات، ومع مظاهرها واسبابها المادية، بل هو خلاصة مستخلصة منها، فان لم يُسند ايجادُه الى القدرة الإلهية المطلقة، يلزم ان تكون تلك الاسباب المادية حاضرة ومحتشدة جَنبَ ذلك الجسم مباشرة عند ايجاده، بل يلزم ان تدخل في جسمه الضئيل، بل يجب دخولها في حجيرة العين التي تمثل نموذج الجسم، ذلك لان الاسباب ان كانت مادية يلزم ان تكون قرب المسَّبب وداخلة فيه، وعندئذٍ يقتضي قبول دخول جميع العناصر في جميع اركان العالم مع طبائعها المتباينة في ذلك المسبّب دخولاً مادياً، وعملها في تلك الحجيرة المتناهية في الصغر بمهارة واتقان! أفلا يخجل ويستحي من هذا القول حتى اشد السوفسطائيين بلاهةً؟''٣.

واود ان انبه هنا الى ان نقد '' النورسي'' منصب بالاساس على العقل السببي الذي ينسب للاسباب بعض خصائص الربوبية في الخلق والايجاد عن عمد او عن غير عمد. اما السببية نفسها فهي عنده الحصن الذي يحصن الكون ، ويشدّه الى

نفسه، ويمنعه من التفكك والانهيار، وهي - اي السببية - عمل الهي اعجازي ينبض بذلك الايقاع الاتي من وراء الكون والذي يندرج في ايقاعه كل الوجود.

فالايمان لا يمنع المؤمن من اعتماد السببية في شؤونه الحياتية، الا ان اعتمادها لا يمنعه كذلك من نفاذ رؤاه الايمانية من قفص السببية واختراق جدرانها الصلبة نحو ذلك المدى الممتد في الابد اللامحدود والذي نسمع رنين ايقاعه في جنبات الروح والوجدان حيث تقصر السببية عنه وتنكفئ دونه.

فالمؤمن قبالة هذا العالم الابدي اللامحدود يشعر شعوراً صادقا بانه ازاء عالم قد استنهضته الارادة الالهية ليتشكل ويقوم من اجله استجابة لتضرعاته الفطرية سواء بلسان الحال او المقال - كما يقول النورسي - وعزاءًا وتأنيساً له عن تلك الميتة التي لا بد منها لكل كائن حي في هذا العالم قبل انتقاله الى عالم الوجود من غير عدم، ووطن الحياة من غير موت.

و"النورسي" لا يرى في عالم "الشهادة" الكثيف معضلة ما تُفقد بصيرته الروحية قدرتها على النفاذ الى " عالم الغيب" وراء هذا الكون ، فعالم الشهادة يشكل في حسه لوحة اعجازية خارقة في اعجازيتها، رسمتها وابدعت فيها يد المبدع البارئ القدير جل جلاله ، غير انه - اي عالم الشهادة - يظل رمزاً وايماءً وظلاً يدل بشبحيته وظليته على عالم اجمل واقدس واروع وهو في الوقت نفسه ابدي لانهائي، ينتظر عيون المؤمنين الوالهة الشغوفة بالجمال.

فبقدر ما في نفوسنا من توق وحنين فطري الى مشاهدة الجمال والانس به ، والانجذاب اليه، فان الجمال نفسه يبادلناهذا التوق والشوق، ويطلب لنفسه صفوة من المشاهدين الذواقين الذين يحسنون المشاهدة، ويتأنقون في حضرته، ويطهرون احاسيسهم ويهذبونها بين يديه ، وانه ليفرح بانشداه ارواحهم ورعشة افئدتهم بازاء ما يلمسونه من فخامة جماله، وعظمة معناه ، ويدعوهم لكي يصغوا الى نغم الوانه واضوائه، ونبل لغته المعمارية التي نمقتها الفخامة، ودبجتها العبقرية. وفي تعمقه في سرّ الجمال والجميل يكتشف " النورسي" سرّ الخلود الموعود به المؤمنون في عالم الغيب، فيلخص هذا السر بهذه العبارة الوجيزة:

"ابدية الجمال تستلزم أبدية المحب المشتاق". ثم يمضى مفسراً هذا الكلام فيقول:

"من الحقائق المستمرة الثابتة: ان كل ذي جمال فائق يحب أن يشاهد جماله بنظره، وبنظر غيره؛ وينظر الى محاسنه بالذات، وبالواسطة؛ ويشتاق الى مرآةٍ فيها جلوة جماله المحبوب، والى مشتاق فيه مقاييس درجات حسنه المرغوب. فالحسن والجمال يقتضيان الشهود والاشهاد؛ وهما يقتضيان وجود مستحسنين متنزهين في مناظرهما، ووجود مشتاقين متحيرين في لطائفهما. ثم لأن الجمال سرمدي، يقتضي أبدية المستحسن المتحير؛ اذ الجمال الدائم الكامل لايرضى بالمشتاق الزائل الآفل؛ اذ بسرّ أن الشخص المقيد بنفسه، له نوع عداوة لما لايصل اليه فهمهُ او يدهُ، ولمن يردّه او يطرده من دائرة حضوره، فيحتمل حينئذ أن يقابل هذا الشخص ذلك الجمال - الذي يستحق أن يقابل بمحبة بلا نهاية، بشوق بلا غاية واستحسان بلا حد - بعداوة وحقد وانكار.

الحاصل: ان هذا العالم كما يستلزم صانعه بالقطع واليقين، كذلك يستلزم صانعهُ الآخرةَ بلا شك ولاريب"٤..

وانه لمن المؤسف حقاً ان نرى " النفس المؤمنة" وقد حيل بينها وبين النضوج الايماني عبر ذلك التوحد بين ما هو كوني وانساني والهي، فمازال العنصر الذهني المعول عليه في صياغة هذا التركيب التوحيدي في نظرية معرفية واحدة ، عنصراً منهوك القوى الى حد العجز ومستنزف الطاقات في جزئيات الايمان وهوامشه ، الامر الذي يجعل المسلم العادي غير

متحمس لخوض مثل هذه التجربة الايمانية التي لم يسبق له ان خاضها.

لذلك - واحساسا من النورسي بواجبه الديني - الزم نفسه بمساعدة اولئك الذين لم تستيقظ بعد قواهم الايمانية ولم تبلغ درجة الادراك المعرفي المتوحد، وجعل يحثهم في رسائله على اقتحام عالم المعرفة الايمانية بنفوس واثقة غير هيابة، وعمل على تمهيد الطريق امامهم للجهاد من اجل هذا الادراك الذي يراد الحيلولة بينهم وبينه بشتى وسائل التضليل والتزييف.

فجهاد المسلم من اجل الوصول الى ما ينبغي له من هذا الادراك المعرفي - مقدم عند النورسي - على جهاده ضد ما يكره من الكفر والفسوق والعصيان ، لان الجهاد ضد ما يكره قبل استكمال جهاده من اجل ما يحب عجالة لا يكتب لها النجاح في غالب الاحيان، وربما تفجؤه في هذه العجالة وفي شدة رغبته بالقفز من فوق كل مراحل الطريق عوارض التعب، وقد تدهمه الشيخوخة والهرم قبل بلوغه سن الفتوة والشباب، ففي حميّا تسرعه يفقد الكثير من قواه، ويستنزف قدراته الايمانية قبل وصوله الى خاتمة الشوط، فيكون بذلك هو المنبتَّ الذي لاظهراً ابقى ولا ارضًا قطع كما وصفه الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

وعن هذا الايمان الذي تدعمه المعرفة، وعن المعرفة التي يدعمها الايمان ، يحدثنا احد طلاب النور قائلاً : ''كنت احسّ فراغاً كبيراً في نفسي، وفي روحي. وبينما كنت ابحث عن كتاب لأقرأه وجدتُ ''رسائل النور'' التي ما إن قرأتها حتى علمت بانني لن استطيع بعد مفارقتها ، اذ احسست بانها هي التي تسدّ هذه الحاجة القلبية لدي، لانني وجدت فيها البراهين والادلة العقلية والايمانية المنقذة من الشبهات'' الى ان يقول : '' وادركت من هذه الحقائق ان رسائل النور كتبت لانسان هذا العصر'' ثم يمضي فيقول : '' فقد احسست ان ايماني يقوى كلما قرأتها..''. ثم تتجسم في ناظريه بشاعة الكفر ومأساة الالحاد فيقول: '' لوكان من عادة القلب ان يتقطع في موقف الحزن والاسى ، لكان من المفروض ان يتمزق القلب الى عدد ذراته امام خبر عن شاب سقط في هاوية الالحاد''.٥.

١١

والانسان لا ينزلق الى هاوية الالحاد والعدمية الا عندما تمرض كينونته - لسبب ما - ويجف فيها ينبوع الشعور الوجداني اليقيني بما وراء عالم الحس بينما ينبعث في نفسه حسٌّ كثيف وغليظ، يعمل على كبح كل تطلع الى ماوراء هذا العالم، ويخنق صوت كل نازع مقام فيه الى ما فوق '' الكونية'' فلا يلبث حتى يرى نفسه وقد حُشرَ في زاوية النظر الميتة التي يفقد عندها وضوح الرؤية ، وصفاء المشاهدة. فيصاب بالدوار الذهني. ويخفق في فهم نفسه، والتعرف على سر وجوده، وادراك المعنى والمغزى لهذا الوجود الذي يحسبه آيلاً للموت والفناء، ويعجز عن رصد ذلك الفيض الهائل من المعاني الذي يتدفق من عالم ماوراء الكون ليمنح كل كائن المعنى الذي يفتقر في وجوده اليه، فالمعنى يملأ الكون ويحكم الوجود بأسره ، اما اللاّمعنى فلا يوجد الا في مخيلات مريضة مهووسة، تتخذه مبرراً للانعتاق من المسؤوليات المفترضة عليها تجاه النفس والكون والحياة، وتجاه الله سبحانه وتعالى خالق النفس والكون والحياة.

ولئن كان الرعب من الموت والفناء يشكل حافزًا ايمانيًا عند البعض يدفعهم للبحث عن كل ما يصلهم باسباب الخلود والبقاء، الا انه يشكل لدى البعض الاخر حافزًا الحاديًا عدمياً، ظنًا منهم ان الموت هوالنهاية والخاتمة التي تختم بها الحياة. فعدم استيعابهم لسر الموت من حيث كونه الأغفاءة القصيرة التي تليها الصحوة الكبرى ، اوقفهم في خطأ الاعتقاد بانهم يحيون ويموتون وما يهلكهم الا الدهر، وفي الوقت نفسه يشيحون بوجوههم عن '' الدين '' الذي يملك الجواب عن كل ما يجول في خواطرهم من اشكاليات ومعضلات.

فهذه الحال المأساوية التي يعيشها الانسان الملحد ، بقدر ما تثير من الاستنكار تثير مثله من الرثاء والاشفاق كما اشار

الى ذلك ‘‘طالب النور’’ في كلامه آنف الذكر.

١٢

فالتامل فكرياً ووجدانياً مع التركيبة النفسية للافراد والامم والشعوب، يوجب بدءاً ذي بدء الامساك بالاصول الحضارية العميقة التي ينتمون اليها، والايغال في تاريخهم النفسي للتعرف على الجذر العقائدي الذي يغذو شجرة العقيدة لديهم، ويحفظها من الزوال والاندثار النهائي، فهذه المعرفة تتيح لصاحبها فرصة اختيار اللغة الدعوية التي يمكن مخاطبتهم بها، وجعلهم يصغون اليه ويفهمون عنه.

فالتركيبة التاريخية للمسلم مدينة للاسلام في نسيجها النفسي والفكري، ولاسيما لمفهومه عن ‘‘ الزمن ’’ الذي يتعامل معه ‘‘ القرآن’’ كوحدة واحدة في آزاله وآباده، فما كان منه، وما هو كائن ، وما سيكون، وحدة واحدة حاضرة في علم الله تعالى.

فالقرآن الكريم يلقي بثقله الذي تنهدُّ له الجبال الرواسي في سكون الزمن فاذا به يضطرب ويموج، ويمور موراً، وتصطفق شطئانه، وتتسع وتمتد بحوره لتتلاقى آزاله وآباده ، في وحدة واحدة ملتحمة لا تعرف القواطع والفواصل.

ومن هنا فأن القرآن يتحدث عما كان وكأنه اليوم يكون، وعما هو كائن وكأنه سيكون، وعما سيكون وكأنه اليوم كان، وعن عالمي الغيب والشهادة وكأن الغيب شهود، والشهود غيب، وكأن العالمين عالم واحد متوحد.

ولهذا السبب نرى الخط المعرفي للنورسي يرفض الثنائية بين ما هو دنيوي، وما هو اخروي.

فالدنيوية هي الباب الذي لا مناص من الدخول منه الى الاخرة التي لا يحجزها عنها الا حاجز وهمي واعتباري، بينما تشكل الاخرة محطتنا الاخيرة في رحلتنا الاستكشافية لمجاهيل العالمين المعجزين معاً.

فالمسلم القرآني المنبت مطلوب منه اكتناف العالمين معاً والامتداد المعرفي في الوجودين كليهما، فاذا ما اشرقت رؤاه الايمانية فوق كل ماهو نسبي ومحدود وفان مما يكتنف حياته الدنيوية، فانها قادرة بنورانيتها القرآنية منح كل فانٍ ومحدود ونسبي من الاشياء معنى من معاني الاطلاق والخلود واللامحدود، فتتحول - بهذا الايمان - دنيا المسلم الى جنة مصغرة قبل مغادرتها الى جنته الكبرى ، والى هذا يشير ‘‘ النورسي’’ حيث يقول:

‘‘اعلم! ان في النفس امراً لطيفاً كدرهم من ورق رقيق. اظن انه مرصاد الابد. اذ ما يمسه شئ الا ويعطيه حكم الابد ويموّهه بوهم الابدية. واذا استعمله الهوى والهوس، صار آلة تجلب احجار الآخرة واساساتها الى الدنيا، فيبنى قصرها عليها، فيأكل اثمار الآخرة بلا نضج في الدنيا الفانية’’٦.

فالنفس الانسانية مفطورة على حب البقاء والخلود، فتطلبه وتسعى اليه حثيثًا، حتى انها لتتوق وتشتاق الى ما تتوهم انه يملك معنى من معاني الدوام، وسمة من سمات البقاء فيما تراه وتلتذ به من لذّات الدنيا واشيائها، والى هذه الحقيقة الفطرية يشير ‘‘النورسي’’ فيقول:

‘‘اعلم! ان اشد ما تطلبه النفس الناطقة البقاء والدوامَ، حتى لو لم تنخدع بتوهم الدوام ما التذت بشئ’’٧.

١٣

فاذا كان عالم الغيب ينطوي على البقاء والدوام الذي بشرت به الاديان، فان لعالم الشهادة بقاءه ودوامه الظلي والرمزي، بحكم ذلك الارتباط والتداخل بين العالمين، فمرآة الابد الكبرى تعكس بعضاً من صور الجمال والجلال على كائنات ‘‘ عالم

الشهادة'' وتسكب فوقها بعض اضوائه والوانه، وهذا هوسر تعلق الانسان بالجميل والجمال، لان الجمال يرمز بجماله الى معنى من معاني الجمال الابدي الاقدس.

''والنورسي'' يرى ان الغلبة دائماً للبقاء على الفناء ، فالاشياء يغلب عليها طابع البقاء حتى وهي تفنى وتزول، بل يذهب الى اكثر من ذلك فيقرر ان الفناء صوري واعتباري، فيقول موضحًا ذلك:

''ومن الدليل على ان الاشياء للبقاء لا للفناء، بل الفناء الصوري تمام الوظيفة وترخيص له، أن الفاني يفنى بوجهٍ ويبقى بوجوهٍ غير محصورة!.. مثلا: انظر من كلمات القدرة الى هذه الزهرة التي تنظر الينا في وقت قصير، ثم تفنى؛ تراها كالكلمة التي تزول لكن تودِع باذن الله في الآذان الوف تماثيلها، وفي العقول - بعدد العقول معانيها؛ اذ هي وقت تمام الوظيفة تُبقي وتودع في حافظتنا، وفي حافظة كل مَن رآها في الشهادة، وفي بذورها في الغيب صورها ومعانيها؛ حتى كأن حافظة كلِّ مَن نظر اليها وكل بذيراتها ''فوطوغرافات'' لحفظ زينة صورها، ومنازل لبقائها. وقس عليها ما فوقها وما فوق ما فوقها من ذوي الارواح الباقية''٨.

فالنورسي هنا انما يريد ان يعمق فينا الشعور بالمدى اللانهائي الذي يحتويه '' عالم الغيب'' وان يستثير في ذات كل انسان نازع الامتداد عبر مسافات الايمان السامقة الانارة، والهادية الى الخلود المنتظر في ذلك العالم الجميل ، وهو يريد منا ان نتحرر من ضغوط الحاضر الحسي على آفاقنا الفكرية والروحية باستجاشة ذلك التيار الخفي لارادة البقاء في دواخلنا وتغذيته على الدوام بينابيع الوجدان المفعم بحب الابد.

واذا كان '' الانسان'' محكومًا ان يعيش بين غيبين ، غيب ما مضى من زمان وغيب ما هو آتٍ منه، لذا فليس من الحكمة في شئ ان ينكفئ ويتكرر داخل البرهة الزمنية التي يحياها، فيستنزفه الحاضر ويمتص ماء وجوده كله، بل عليه ان يستجمع كل قواه لكي يكون قادراً على النفاذ من خلال حاضره والغوص في غيب التاريخ الذي مضى ، واستشراف غيب التاريخ الذي سيأتي ، لان ''الحاضر'' يبقى باهتاً وسطحياً وهشاً ومعرضًا للتفكك والانهيار مالم تسنده مداميك الماضي من جهة ، ومالم يغلب على جوهره نازع الامتداد في الآتي من الزمان من جهة اخرى.

فالتاريخ - بابعاده الثلاثة - هو انبل ما يمكن ان يرتديه '' انا '' الانسان من رداء لحفظ صورة وجوده من الاندثار والزوال، وهو صوت الروح الانساني المعبر عن قواه الخفية التي تملأ فضاءات الزمن بطاقاتها الجبارة وارادتها المتفجرة بالاحداث والوقائع.

فما بين '' انا'' الانسان، و''انا'' الزمان أوالتاريخ اواصر قوية من المعرفة تشد احاسيس احدهما الى الاخر، وتصل ما بين نبضيهما، وتسمع نداء احدهما للآخر، فلكي يعي الانسان وجوده ، ويكتشف جواهر دواخله، لا بد له من ان يلقي بنفسه في اتون '' فعل تاريخي '' يمنحه الامتداد في التاريخ ، ويسبغ عليه ثوب الخلود الظلي والشبحي على هذه الارض.

وبالمقابل فان '' بصيرة التاريخ '' ترى '' الانسان'' القوة القادرة على تحريك ساكن اي زمان من ازمنته، ومده بالطاقة التي تديم حركته ، وتكفل له دوران عجلته، فلا تاريخ بلا انسان، ولا انسان بلا تاريخ.

وحين نستقرئ التاريخ ونوغل في اعماقه، نخلص الى نتيجة مؤدّاها ان احداثه ووقائعه ليست من صنع الانسان وحده؛ '' فيد الانسان، ويد القدر الالهي، موجودتان معاً في كل حادثة'' كما يقول النورسي..٩.

فالفعل الانساني في الحدث التاريخي هو القناع الذي يخفي تحته فعل ''القدر'' و ''فعل الكون'' معاً.

فارادة الانسان لا تنتقل من طور القوة داخل النفس الى طور الفعل التاريخي خارج النفس الا اذا انبثقت من احشاء

التحدي لارادات بشرية اخر مضادة ومناوئة ، واستطاعت التغلب عليها جميعاً والنفاذ من بينها منتصرة، بشرط الا تصطدم بارادة '' الكون '' المتمثلة بسننه ونواميسه لانها غالبة لا محال ، وفوق ذلك كله لابد ان تكون على وفاق مع مشيئة القدر، التي هي فوق كل مشيئة.

ففي التاريخ - وبحسب نظرية المعرفة عند '' النورسي'' - يلتقي '' الالهي والكوني والانساني'' كما هو لقاؤهم في كل ما يتعلق بشؤؤن الانسان ومعارفه.

١٤

فالعالم المشحون بطاقات الدفع نحو السعة والامتداد عبر فضاءات الزمان والمكان اللانهائيين، يقف بالمقابل منه '' عالم النفس'' المشحون بطاقات الارادة التي تدفع باتجاه السعة والامتداد عبر التاريخ والزمن.

فالارادة شأنها شأن التفكير والحدس والشعور تشكل في '' عالم النفس'' ارقى اجزائه، واشرف عناصر مكوناته، وهي مما لا يمكن للتصور ان يحيط بها، ولا لقبضة البحث العلمي المنهجي ان تمسك بها، لتضعها تحت قياسات مساطرها وعدسات مجاهرها ، وموازين معادلاتها.

فوليد البصر ليس كوليد البصيرة، وما يَطَالُهُ حسُّنَا ليس كمن يَطَالُ شُعورَنَا والمَرئي الذي يقاس ويوزن ، ليس كالذي لا قياس له ولا وزن.

فالمعاني العظيمة - غيبية كانت او شهودية - نجد في نفوسنا مأوىً لها ورغم اننا مسكونون بها الا اننا لا ندرك من ابعاد معانيها الا بمقدار ما توحيه لنا اسماؤها.

فالاسماء رموز للمعاني، ومفاتيح لاقفالها، وهي التي تعطي لصور الحقائق الحسية والمعنوية ماهياتها، وتمنحها السمات والملامح التي بها يتم تمايز موجود عن موجود، وحقيقة عن حقيقة.

فالشئ او المعنى الذي لا اسم له يبقى في عُتْمَةِ الإبْهَامِ، فلا هو موجود في اذهاننا ولا هو غير موجود ، فهو متأرجح بين الوجود واللاوجود، حتى يتحدد بالاسم الذي يطلق عليه، ولعلَّ الى هذا الاشارة في الاية الكريمة: وعلم آدم الاسماء كلها..''البقرة:٢١'' قبل نزوله الى الارض كيما يكتسب المعرفة بصور الموجودات، والقدرة على التفريق بينها ، والتعامل مع كل منها بمقتضى ما يوحيه له اسمها من الافكار والمعاني.

فأولى مراتب '' المعرفة الكونية'' توجب ، استشراف المعنى الذي ترمز اليه اسماء الموجودات، عن طريق التجربة والاختبار.

واولى مراتب '' المعرفة الالهية'' توجب رصد تجليات اسماء الله الحسنى على الكون والانسان والحياة، وكشف فاعليتها وتأثيرها فيها، وفي عالم الاسماء يلتقي كذلك الانسان بالكوني والالهي ، واليك ما يقوله '' النورسي'' في هذا الصدد:

''اعلم : ان السر في تختيم الايات القرآنية بفذلكات متضمنة للاسماء الحسنى كامثال : ''آية الملك'' او بعين الاسماء كما في كثير من الآيات هو ؛ ان القرآن الحكيم، ببيانه الاعجازي يبسط الاثار للنظر ثم يستخرج منها الاسماء كامثال: وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، وهو اهون عليه ، وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو السميع العليم''الروم:٢٧''.

وكذا ينشر منسوجات صنعه ثم يطويها في الاسماء ، وكذا يفصل افاعيله ثم يُجملها باسمائه وكأن تلك المخلوقات الفاظ وهذه الاسماء معانيها او ماؤها او نواتها او خلاصتها علمًا''١٠

انّ '' النورسي'' منساقًا بهذا الجيشان الروحي الذي يكتنف وجوده كله ، والمندفع بقوة من احشاء تطوره الباطني الطويل الامد ، والمتدفق من تجاربه الايمانية، ونظريته الشمولية لما هو كوني وانساني والهي ، يرى نفسه مدفوعاً بحسٍّ مسؤول نحو ''الانسان الضال'' المعاني لآلام الاختناق ، وعذاب الانسحاق في قعر ''أناه'' ليأخذ بيده ويساعده على التحرر من سجن نفسه العمياء، وجعله يستعيد انفاس الايمان من جديد، ولا يتركه حتى ترتقي نفسه من كونها نقطة سوداء تستحث ظلام العالم كله كيما يصب فيها الى نقطة مشعة بالنور والضياء يقف الشك ازاءها حائراً صامتاً، بينما يجد اليقين طريقه الى عمق اعماقها ، فتصبح بذلك متأهبة لدخول عالم التوحد المعرفي الحصين الذي يتأبى على اي نوع من انواع الجمودات الفكرية والروحية.

وعندما تنتقل ''انا'' من كونها مركزاً كثيفاً للعماء والظلام الى مركز مشع بالنور والضياء بما تستمده من انوار اسمه تعالى '' النور'' فانها تصبح مشغوفة بالكشف عن ''اللامنظور'' من قوانين الحياة والكون والانسان ، والسعي لادراك ما لا يدرك منها الاّ بعد الجهد الجهيد، وبذلك يبقى جنين الفكر مربوطًا بحبل سرّة الوجود يغذوه بعوامل الحياة والنماء دون انقطاع.

ومن هنا جاء اطلاق ''النورسي'' اسم ''النور'' على رسائله تيمنًا باسمه تعالى '' النور'' الذي به تومض الحقائق، وتشع الموجودات.

ولما كانت '' الحقيقة'' - اية حقيقة - هي مزيج من جمال '' الحق '' ومن ''جلاله''... فيها من الجمال انسه ومن الجلال هيبته ورهبته، تعذّر على الانسان ذي الاصل الترابي ان يلتقيها - اي الحقيقة - وجهاً لوجه، او ان يشافَه بها مشافهة مباشرة ، والاّ صُعق بجلالها ، وذهل عن نفسه بجمالها، فكان لا بد - رحمة بالانسان نفسه - من ان يشار اليها اشارة ، ويرمز اليها رمزاً ، وان تأتيه محجبة، وتصل اليه مغلفةً بغلاف من الرمزية والخفاء، وترك لعقله ولخياله حرية الاجتهاد في الكشف عما وراء الرمز، والبحث فيما وراء ستار الغموض والخفاء الذي يسترها.

ولعل هذا يؤشر لنا حكمة '' المتشابه'' من آى القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

فكما ان القرآن الكريم فيه المحكم والمتشابه ، فكذلك الحديث الشريف فيه المحكم والمتشابه - كما يرى النورسي - ولا سيما تلك الاحاديث التي تشير الى احداث مستقبلية ستقع في امته خاصة وفي العالم عامة، كأحاديث المهدي والدجال ونزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان، وكسره للصليب وقتله للخنزير ، واشراط الساعة وعلاماتها الى آخر تلك المغيبات.

ولكن عندما يذوي '' الفكر الديني''، ويدخل مرحلة المَحْل والجفاف - لاي سبب كان - فان قوته التصورية تخبو كذلك وتذوي، فيعجز عن الايغال في الاشارة والرمز ليكشف حقيقة ما يشيران اليه ويرمزان اليه ، فيمسك بتلابيب ظاهر النص، ويقف عند حرفيته لا يريم ، فيفوته الفهم، ويخطئه الادراك، فينحسر الفكر ويضيق ، ويمنع من الامتداد عميقًا في ظاهر النص وحرفيته، ويتسلل اليه دون قصد منه شئ من الصنمية الحسية الغليظة التي حطمها الاسلام، وتصبح هي القاعدة والمنهج في تفسير النصوص ، وتبيان مراميها ومقاصدها.

وقد توجه ''النورسي'' بالنقد للمنهج الحرفي في تفسير '' النص'' واستخدم منهجه - ضمن المعرفة الايمانية - في تفسير الكثير من نصوص '' الاحاديث المستقبلية'' باعتبارها رموزا واشارات الى حقائق كان من المناسب جداً ألاّيُشافَهَ بها المسلم مباشرة ، ولا ان يُواجَهَ بها صراحة، بل ترك لاهل كل زمان حرية إعمال العقل في الفهم عنها ، والتعرف على مراميها

ومقاصدها.

لان الحجب والرموز التي تستتر فيهما ووراءهما الحقائق وحتى المادية منها ، اكثر اغراء ، واشد اثارة للانسان ، واستفزازاً له، لكي يقبل التحدي، ويعمل ذهنه في خرق الاستار ، وفتح المغاليق والكشف عن الحقيقة في جوف الرمز ووراء الستر.

فالنازع الديني، والنازع العلمي ، كلاهما ينزعان عن عرقٍ واحد عميق في النفس الانسانية، وهذا العرق هو حب المعرفة ، والشغف بغزو المجهول، والتعلق باللامنظور.

فنزوعهما عن عرق واحد - رغم اختلاف سبيليهما - يدفع بهما للالتقاء في خاتمة المطاف مكونين رافدًا واحداً يَصُبُّ في بحر '' المعرفة الالهية'' التي تنتهي اليها المعارف جميعاً.

''النورسي'' يرى انه سيأتي قريبا ذلك اليوم الذي تتلاحم فيه عوالم المعرفة وينفذ بعضها ببعض مكونة عالماً معرفياً واحدًا يخترق بنوره جدران الكون والحياة والانسان، وسيعود ''العلم'' ليلقي بنفسه المتعبة المرتابة في احضان بيته الروحي المؤمن الذي غادره مجافياً منذ ما يُسمى بعصر التنوير الاوربي، وسيؤوب من رحلته الارتيابية في مجاهيل العالم بذراته ومجراته، برؤية ايمانية اكثر عمقًا ، واشد تصديقًا واكثر تواضعًا وخشية: انما يخشى الله من عباده العلماء.

وبعد:

فان كان '' النورسي'' يرسم هنا الملامح العامة، والخطوط العريضة لنظريته في ''المعرفة الايمانية''، الاّ انه لا يزعم لنفسه الكمال فيما جاء به، او الانتهاء في نظريته الى المدى الذى لا يقبل التطوير او الاضافة، لانه يرى ان العقل الانساني لا يمكن ان يقف عند حد من حدود المعرفة ويسعده - وهو في قبره - ان يرى في طلابه وقرائه من يدفعه ذكاؤه لكي يطور نظريته، اويضيف اليها ما يزيدها رصانةً وقوة.

ومع ذلك فانه - اي النورسي - لم يقل كل ما عنده لان ما من احد يستطيع ذلك ، ففي قعر الصمت شئ ما لا يقوى الكلام على حمله ، فلوامع الحقيقة واشراقاتها في هدوات الصمت، وبين الشفاه المطبقة، اقوى ظهورًا ، واشد وضوحًا ، واكثر انكشافاً، ممَّا لو انفرجت عنها الشفاه لتندرج في العبارات والجمل.

وهو - اي النورسي - يقرّ بانه ليس اكثر من معبر يستحث الاخرين للعبور من فوقه الى الانسان المسلم المنتظر وانه الكشاف والرائد الذي يتقدم الاخرين ليمهد لهم سبيل الوصول اليه، وهو يقول مخاطبًا الانسان الناظر في كلامه:

''يا ناظر!

اظنني أحفر بآثاري المشوّشة عن أمرٍ عظيم بنوع اضطرارٍ مني.

فياليت شعري هل كَشَفتُ.. او سينكشفُ.. او انا وسيلة لتسهيل الطريق لكشّافه الآتي''١١.

---

* أديب اهيم الدباغ: من مواليد ١٩٣١ م الموصل - العراق، عمل في التعليم تسعة وعشرين عاما . وحاليا أستاذ الأدب العربي في جامعة داغستان الخاصة. مارس الكتابة في الصحف والمجلات منذ الخمسينات. اهتم بالنورسي سنة ١٩٨٠م وكتب في فكره وسيرته الكتب والمقالات والأبحاث. له ستة كتب منشورة.

١ - الكلمات ٧٩٤

٢- المثنوى العربى النورى ١٨٨

٣ - اللمعات ٢٧٠

٤ - المثنوى العربى النورى ٩٢

٥ - الشعاعات ٥٩٠ - ٥٩٦

٦ - المثنوي العربى النورى ٣٧٨

٧ - المثنوى العربى النورى ٣٠٢

٨ - المثنوى العربى النورى ٩٦

٩ - الملاحق - ملحق قسطمونى

١٠ - المثنوى العربى النورى ٣٣٩

١١ - المثنوى العربى النورى ٢٣٩